

(c) <http://nidaulhind.blogspot.com>

**تنبيه:** توجد بعض صفحات ما حملتها ، أو بعض الكلمات في بعض الصفحات من

الملفات غير واضحة حيث تعوق القراءة نتيجةً لقدم الكتاب نفسه وليس بسبب

التصوير، فقد قمنا بتصحيح الخلل والمعوقات بقدر ما استطعنا

موقعكم <http://nidaulhind.blogspot.in> نداء الهند

## أشوكا - الإمبراطور الهندى الفذ

لحضرة الفاضل راما كشور

فكرة تسخير العالم وفهره وحكمه . فكرة قديمة اختلجت فى قلوب الأفراد والشعوب من جر المدينة الانسانية . سفكت بسببها الدماء أنهارا ، ودمرت البلاد تدميرا . وقد عرقها الهند كذلك . ووجد من ملوكها من آمن بها وحارب لتنفيذها داخل البلاد . لا خارجها . ولكننا نعجب كل العجب عند ما نرى المفكرين الهنود القدماء قد استهجروا الفكرة وقبحوها ورغبوا الملوك عنها .

فهذا كتاب «مهابارتا» الشهير يحمل الفتح والغلبة على ثلاثة أنواع:

- ١- فتح المفضلة (Dharma) .
- ٢- فتح الطمع (Lobha) .
- ٣- فتح الرذيلة أو الحمجية (Asura) .

والكتاب «ارتها شاسترا» القديم يشرح هذه الأنواع الثلاثة هكذا:

- ١- الفاتح الفاضل يرضى بطاعة المغلوب ، فاذا فعل ذلك ، حماه من كل من يعتدى عليه .
- ٢- والفاتح الطامع يسلب ملك المغلوب وكل ما يملكه .
- ٣- أما الفاتح الرذيل الحمجى ، فهو لا يرضيه سلب ملك المغلوب وماله بل يملك المغلوب وأولاده وعرضه وحياته .

وقد حثت الكتب السياسية الهندية القديمة كل من يحدث نفسه ببسط

سلطانه على العالم على أن يتحلى بالفضائل كلها . فيخضع له العالم دون أن يحتاج إلى القتال وسفك الدماء .

ولما انتشرت البوذية في الهند - وهي تحرم قتل النفس بتاتا - عظم النفور عن الحرب . واشتدت الرغبة في السلام . وقوى الميل إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة .

وإيا نجد في كتاب بوذي عتيق ، وهو كتاب ديفا - نيكايا ، قصة تشرح أفكار المفكرين الهنود في الموضوع خير شرح . فيقول الكتاب إنه كان فيما مضى ملك فتح الدنيا كلها ، ليس بالسيف والقوة الفاشمه . بل بالحب الانساني البحت والفضيلة الكاملة . .

ثم يذكر الكتاب أن هذا الملك لما كبرت سنه وأراد الانقطاع إلى العبادة . دعى ابنه زولي عهده وأوصاه بما يأتي :

• أيها الولد العزيز ، إن تمسكت بالشريعة - شريعة الحق والفضيلة - واحترمتها ، وقدسيتها ، وخضعت لها ، وجعلتها رائدك ، ورفعت عليها على كتفك ، فعليك القيام بكل ما فيه صلاح رعيتك ، وجيشك ، وأمرائك ، وخدمك ، والبراهمة ، وأصحاب العقار ، وسكان المدن ، وفلاحى القرى ، والمعاهد الدينية ، والمواشى ، وسائر الحيوانات والطيور عامة . لا تسمحن بعمل الشر في مملكتك ، وكل من وجدته فقيرا ، فعليك بمنحه الثروة التى تغنيه عن المتاعب .

• وأيها الولد العزيز ، ستجد في مملكتك رجالا أفاقوا من سكر الحواس والشهوات ، وتفرغوا لقهر أنفسهم وتهذيبها . وسيترددون عليك سائلين عما هو خير وعما هو شر ، وعن الطريقة المثلى لاصلاح الناس وهدايتهم ورفاهيتهم ، فعليك بالاصفاء إليهم . لا تحقرهم ولا تصقرن خذك لهم ، بل تخفض جناحك

وتقول لهم قولا مبروفا . وإذا وجدتهم زائعين عن الحق ، مبالغين إلى الشر ، فملك بتقويمهم وحملهم على سواء السبيل . إن هذا هو الواجب الآري ، الذي يقوم به الملك الذي يحدث نفسه بيسط سيطرته على العالم .

ثم يقول الكتاب إن ابن الملك اتبع وصية أبيه وخرج لفتح المعمورة بصلاح الفضيلة ومكارم الأخلاق . فبلغ مشرق الشمس ، فاذا الملوك كلهم هرعوا إليه مهلين منادين ، مرجا ملك الملوك ! ها كل ما هنا ملكك . ونحن خاضعون طائعون لك ! . هكذا تم له إخضاع جهات العالم الأربعة كلها . وكان هذا الملك يقول لكل من يقدم إليه طاعته من الملوك : لا تقتل نساء . لا تأخذ ما ليس لك . لا تطع شهواتك في المحرمات . لا تكذب . لا تسكر . ونتمتع بملكك من بعد الآن غير خائف ولا وجل ! .

لا ريب هذه حكاية خيالية . غايتها نصح الذي يمني نفسه بامتلاك العالم .

ولكن وحد في الهند ملك كبير ، بل إمبراطور عظيم ، لم يكن في معاصريه من يضاهيه في سعة ملكه ، وقوة جيشه ، وعظمة بلاطه ، جعل هذه الحكاية الخيالية بعمله حقيقة ، إلى حد مدعش . ونعني به ، الإمبراطور أشوكا .

ارتق أشوكا بعد أبيه عرش جده ، الإمبراطور شندرا غبتا ، سنة ٢٦٤ قبل الميلاد ، وكانت مملكته تمتد من أفغانستان شمالا إلى مقاطعة مدراس الحاضرة جنوبا ، فكانت إمبراطوريته — كما ترى — ضخمة مترامية الأطراف ، فأراد أول حكمه أن يوسع حدودها ويوحد الهند كلها تحت رايته ، فهاجم البقية الباقية من البلاد الجنوبية ، وأغار على مملكة كالتغا على الساحل الشرقي من مدراس ، واستولى عليها بعد حرب دامية .

غير أن هذه الحرب خلقت منه رجلا آخر. فأصبح يمقت الحروب وسفك الدماء. ويقرر لنفسه نهجا جديدا للفتح لم يعرفه التاريخ لغيره من ملوك العالم، فبذ فكرة الحرب من أصلها وعمد إلى تشيد إمبراطوريته على دعائم السلام والفضيلة.

وقد أقام مسلات وأعمدة كثيرة في أنحاء البلاد، نقش عليها وعلى الصخور وصاياہ السلطنة، لا تزال خمسة وثلاثون منها باقية إلى الآن.

ونحن نلخص فيما يلي ما نقش في إحدى مسلاته :

« إن حرب كالنفا جلبت الشقاء على عدد كبير من البشر. فقد أجل من أبناء البلاد المفتوحة مائة ألف وخمسون ألفا، وذبح في أثناء المعركة مائة ألف، ومات أضعاف مضاعفة لهذا العدد بسبب الحرب. إن محب الحق (يعنى به نفسه) قد تألم جدا بكل ما وقع وحزن له حزنا عميقا. الحرب، هكذا عاقبتها، وإن فتح البلاد الغير الخاضعة يتطلب المذابح والدمار وإجلاء الأهالي من أوطانهم. وشر الحرب لا ينتهى بسفك دماء المحاربين وأعدائهم، بل يماوز إلى غيرهم من الذين يعيشون في تلك البلاد. الذين يطيعون سادتهم، ويخضعون لآبائهم وأمهاتهم، ويحترمون كبارهم، ويراعون حق الأصدقاء، والرفقاء، والجيران، وذوى القربى، والعبيد، والخدم، ويخلصون في الدين، ولا بمسئون بسبب إلى الحرب، فهؤلاء الأبرياء كذلك تطحنهم الحرب، فيذبح أحباؤهم، وتخرب بيوتهم، ويُجْلون من ديارهم. وإن محب الحق ليأسف أن يصيب الناس مقال ذرة مما أصابهم من جراء حرب كالنفا. وإن محب الحق قد اتنع بأن الفتح الحقيقى ليس إلا فتح الفضيلة وحدها. وإن محب الحق قد نجح في نيل فتحه هذا داخل بلاده وخارجها على السواء. حتى في البلاد التي

يحكمها الملك اليوناني (اليوناني) اتبيوش . وفي البلاد التي يحكمها الملوك الأربعة ورا . حدود مملكته . وإيه (أشوكا) قد حاز هذا الفتح بالفضيلة وحب السلام . وذلك بإرساله المبشرين إلى الدين (البودي) السلي . وإيه لجداً مسرور بفوز هذا الفتح في كل مكان . وإيه يوصي أولاده وخلفاتهم بأن يبتدوا كل فكرة للغزو والفتح الحربي . وأن يحدوا اللذة وقرعة عينهم في الرفق والمرحمة . وإن كان لا بد لهم من الفتح الحديدية . فيكتفوا بالمعاقبة الخفيفة السهلة . وأن يعلوا أن الفتح بالفضيلة هو الفتح الحقيقي الذي ينفع في هذه الدنيا وما بعدها .

وقد دام حكم هذا الامبراطور سبعا وثلاثين سنة لم يلجئ فيه إلى حرب بعد حربه الأولى - حرب كالتفا . ويشهد التاريخ أن الامبراطور . على حبه السلام ومقته الحرب والشدة . قد جمع نجاحاً فذاً في سياسته الخارجية والداخلية على السواء . لم يهاجمه عدو خارجي . احتراماً لمضائله أو هبة لقوة جيشه . ولم تحدث في البلاد ثورات أو مشاغبات . بل عاش هو وعاش الناس تحت ظله عيشة كلها ماء . وهجه .

وإن عهده كان عهد إصلاح وتعمير . اعتنق الامبراطور الدين البوذى . إلا أنه لم يظلم الأديان الأخرى حقوقها . بل سوى بين سائر الناس في عدله وإحسانه . حضر في أنحاء البلاد الآبار التي تفوق الحصر . وغرس الأشجار الظليلة المثمرة . وبنى الحدائق العامة . وأسس الملاجى للعاجزين . والمستشفيات للرضى . ونشر العلم بين الأهالي . واهتم بتمدن المتوحشين القاطنين في الجبال من رعيته . ورفع مستوى المرأة الاجتماعى . وأرسل بعثات دينية كثيرة إلى البلاد القرية والبعيدة . كبلاد كشمير . وسيلان . وبلاد الملوك اليونانيين . وبلاد مصر التي كان يحكمها إذ ذاك البطالسة .

وهذا الإمبراطور هو الذي أرسل مع إحدى بعثاته إلى سيلان غصنا من شجر البصيرة، - الشجرة التي نال تحتها بوذا البصيرة والرفان. ففرس الفصن وأصبح دوحة عظيمة، لا تزال توجد لها إلى الآن. وهي أقدم شجرة في المعمورة على ما يعلم.